فاعلية المرأة المؤمنة في ضوء القصص القرآني

إعداد

د. منيرة بنت محمد بن ناصر الدوسري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

بجامعة الإمام عبد الرحمن الفيصل

ملخص البحث

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلم تسليمـًا كثيراً.

وبعد:

حظيت المرأة باهتمام كبير في القرآن الكريم، وأخذت حيزاً واسعـًا في آياته بصفة عامة، وفي آيات القصص القرآني بصفة خاصة، فهي تعتبر عنصراً أساسيـًا في القصص القرآني كما أن الرجل عنصر أساسي فيها، وهي تظهر لنا في هذا القصص بأدوار مختلفة، أوردها القرآن الكريم وأعطىٰ كل شخصية حسب دورها في القصة وتأثيرها سواء كانت إيجابية أم سلبية، وفصّل في مستوىٰ الفاعلية والتأثير لديها من خلال عرض نماذج عديدة للمرأة في سيرة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام باعتبارها أمـًا وزوجـًا وأختـًا.

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قدم المرأة المؤمنة في القصص القرآني، وعدَّها نموذجـًا إيجابيـًا ومشرقـًا ليس للنساء فحسب بل للبشرية كلها رجالاً ونساءً، فالمرأة في القصص القرآني تعكس مكانة المرأة في الإسلام وقيمتها، وفعاليتها في ترسيخ عقيدة التوحيد، وإيجابيتها في طريقتها في التفكير وفي إدارة المواقف، وقدمها نموذجـًا للمرأة القيادية، ونموذجـًا للعفة والطهر والنقاء، ونموذجـًا للإنسان القوي ليدل علىٰ دور المرأة الفاعل والمميز في مختلف المجالات العامة والخاصة، ويصحح المفاهيم المتعلقة بها.

ومن أجل هذا كان لابد من التركيز علىٰ إبراز دور المرأة الإيجابي في مجتمعها وتأثيرها علىٰ من حولها، فاستعنت بالله علىٰ اختيار موضوع وأسميته (**فاعلية المرأة المؤمنة في ضوء القصص القرآني**) .

أهداف الدراسة:

١ – الوقوف علىٰ النماذج النسائية المؤمنة التي ذكرهن الله عز وجل في كتابه العزيز، للاقتداء بهن في الإيمان والصبر والصدق والحكمة.

٢– إبراز دور المرأة القيادي العظيم، ومساهمتها الفاعلة في مسيرتها القيادية المشرقة علىٰ مر الأزمنة.

٣– استخراج الفوائد والدروس البليغة من الآيات القرآنية، والتي هي معالم تربوية تدل علىٰ ما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة.

حدود الدراسة:

يتناول البحث نماذج نسائية وردت في القرآن الكريم، كان لها تأثير إيجابي ظاهر علىٰ حياة بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وعلىٰ هذا فكل تأثير سلبي للمرأة علىٰ الأنبياء يُستبعد من الدراسة.

الدراسات السابقة:

لم أقف علىٰ دراسة بحثية حول هذا الموضوع، إلا أن هناك رسالة علمية تناولت القصص القرآني فيما يتعلق بالمرأة تحت عنوان (المرأة في القصص القرآني) للباحثة: هداب محمد الحاج حسين، وهي أطروحة ماجستير عرضت فيها قصص النساء في القرآن الكريم المؤمنات والكافرات باستفاضة، دون الوقوف علىٰ تحليل مواقفهن لإبراز مدىٰ فاعليتهن وتأثيرهن.

إلا أن هذا البحث سيتناول تحديداً المواقف النسائية الإيجابية، ومدىٰ تأثيرها علىٰ من حولها.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة علىٰ المنهج الوصفي التحليلي، بذكر الآيات التي تتضمن قصص النساء المؤمنات وهو كالتالي:

- جمع الآيات التي وردت فيها القصص، وتقسيمها علىٰ حسب موضوع القصة.

- ترتيب القصص على حسب الترتيب الزمني للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.
- دراسة هذه الآيات بالرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة وكتب الحديث واللغة، ذات العلاقة بالبحث.
- استنباط الفوائد والدروس من الآيات القرآنية.
- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في المصحف، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.
- الاستشهاد بالأحاديث النبوية وعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فيقتصر على تخريجه منهما ،وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما فيخرج من ما تيسر كتب السنة.
- الاكتفاء باسم المصدر أو المرجع واسم مؤلفه في أول مرة في الحاشية، ثم يذكر مختصراً في بقية المواضع، وفي فهرس المصادر والمراجع يذكر وصفه كاملاً من حيث دار النشر، والطبعة، وسنة الطبع.

خطة البحث:

اقتضت هذه الدراسة تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وفيها أهداف الدراسة، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

التمهيد: تعريف الفاعلية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: المرأة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: فاعلية المرأة في ضوء قصة أم موسى وأخته وامرأة فرعون.

المبحث الثالث: فاعلية المرأة في ضوء قصة الملكة سبأ.

المبحث الرابع: فاعلية المرأة في ضوء قصة مريم ابنة عمران.

ثم **الخاتمة** وفيها النتائج وفهرس المراجع.

أسأل الله التوفيق والسداد والحمد لله رب العالمين والصلاة على أفضل المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد: معنى الفاعلية في اللغة والاصطلاح

في اللغة:

الأصل اللغوي لكلمة الفاعلية هو الفعل (فِعل)، ومعنىٰ الفعل بالكسر: حركة الإنسان، وهو إحداث كل شيء من عمل أو غيره، فهو أخص من العمل، وفي اللسان: الفِعل كناية عن كل عمل متعد أو غير متعد.(١)

قال الراغب:"الفعل: التأثير من جهة مُؤثِّر وهو عام لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولما كان لعلم أو غير علم، وقصد أو غير قصد ".(٢)

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة فاعلية: مصدر صناعي من فاعل: مقدرة الشيء علىٰ التأثير.(٣)

و (تَفَاعَلا): أثر كل منهما علىٰ الآخر، و(الفاعليَّة) وصف في كل ما هو فاعل.(٤)

في الاصطلاح:

الفاعلية هي مقدرة الشيء علىٰ التأثير، أو علىٰ إحداث أثر قوي، ولها معانٍ متباينة علىٰ حسب المجالات(٥)

ونعني في هذا البحث تأثير المرأة تحديداً علىٰ مجرىٰ الأحداث من حولها باعتبارها أما وزوجا وأختًا، وقدرتها علىٰ صنع التغيير في مجتمعها بما حباها الله من صفات ومناقب تميزت بها.



(١) لسان العرب لابن منظور ١١/ ٥٢٨.
(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٤٩٤.
(٣) ص ١٧٢٦.
(٤) المعجم الوسيط ص ٦٩٥ .
(٥) ينظر: المعجم الوجيز ص ٤٦٩، مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

المبحث الأول: المرأة في القرآن الكريم

اهتم القرآن الكريم بالمرأة وشؤونها اهتماماً كبيراً، وظهر ذلك جلياً في عدد من السور التي عرضت فيها شؤون المرأة وقضاياها كسورة البقرة والنور والأحزاب والمجادلة والممتحنة والتحريم.

وسميت سورتان باسم (النساء الكبرىٰ) والأخرىٰ (النساء القصرىٰ)وهي سورة الطلاق [١]، واشتملت علىٰ كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالنساء، كما نزلت سورة من القرآن تحمل اسم امرأة اصطفاها الله تعالىٰ علىٰ نساء العالمين، وهي (سورة مريم).

وورد في القرآن الكريم ذكر لألفاظ عديدة دلت علىٰ المرأة كالنساء والمرأة والأنثىٰ والزوج والوالدة والصاحبة والبنت والأخت والأهل، وهو دليل ومؤشر علىٰ حضور المرأة في القرآن الكريم، وأهميتها وتأثيرها وقيمتها.

وفي القرآن الكريم نوعان من الأحكام، أحكام عامة تشمل الرجل والمرأة علىٰ حد سواء كما في قضايا التوحيد والكفر، أو في المعاملات والعبادات والتربية والأخلاق، فهي مثل الرجل تتلقىٰ الأحكام الإلهية وتؤجر علىٰ الأعمال الصالحة في الدنيا والآخرة، يقول سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل] فالآية قررت قاعدة أن كلاً من الذكر والأنثىٰ متساويان، في العمل والجزاء، وفي صلتهما بالله، وفي جزائهما عند الله، وفيها دلالة علىٰ أن شرائع الإسلام تعم الرجال والنساء، إلا ما خصصه الدين بأحد الصنفين. [٢]

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ رِزْقًا.... ﴾ [الأحزاب:٣٥].

(١) ينظر كتابي (أسماء السور وفضائلها) ص ٤٢٣ .

(٢) ينظر: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٢٧٣ ؛ في ظلال القرآن لسيد قطب ٤/ ٢١٩٣ .

عن أم سلمة أنها قالت للنبي صلىٰ الله عليه وسلم: (يا نبي الله ما لي أسمع الرجال يذكرون في القرآن والنساء لا يذكرن ؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ رِزْقًا ﴾ (1).

فالله عز وجل ساوىٰ بين الرجل والمرأة في العمل والثواب والعقاب، وجعل التقوىٰ مقياس التفاضل في وقت كان المجتمع يفضل الرجل علىٰ المرأة يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات].

وفي حديث القرآن عن العقاب الذي ينتظر الكافرين والمنافقين لم يفرق بين الرجل والمرأة في استحقاق العقاب وتحمل المسؤولية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ أَلَمْ ... ﴾ [التوبة:٦٧-٦٨].

فالمرأة مكلفة بكل درجات الدين (الإحسان والإيمان والإسلام)، وعندما كلفها الإسلام بذلك ساوىٰ بينها وبين الرجل، فأراد لها التكريم وبلوغ أعلىٰ درجات الإحسان والكمال.

أما النوع الآخر من الأحكام، فهو الأحكام الخاصة، وهي التي تخص كلاً من الرجل والمرأة علىٰ حسب الدور والمسؤوليات الذي أعده الله لكل منهما سواء كان في داخل الحياة الزوجية أو خارجها فيما يتعلق بأمور القضاء أو الحكم أو الشهادة.

فالإسلام أسقط عن المرأة التكليف بالسعي إلىٰ اكتساب الرزق، وجعله تكليفاً خاصاً بالرجل في جميع مراحل حياتها سواء أكانت بنتاً أو أختاً أو زوجة، في الوقت الذي أعطاها حرية التملك والتصرف لكل أنواع الأموال دون قيد تتقيد به إلا ما كان مثل الرجل، فأراد بذلك أن تكون إنساناً كامل الأهلية.

كما خالف الجاهلية في حرمان المرأة من الميراث بالكلية، فمنحها حقها في الإرث نصف ما يأخذه الرجل نظراً لرفع وجوب النفقة عليها، وحدد مع الزوج

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرىٰ، كتاب التفسير، سورة الأحزاب، حديث رقم (١١٣٤١)، ٢١٩/١٠.

الالتزامات المالية التي تربطه مع زوجته في كافة الظروف.

وكما أكد القرآن وجوب احترام الحقوق المالية للمرأة أكد أيضًا احترام المرأة في مشاعرها وعواطفها وشخصيتها، فقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم، وأحسنوا صحبتهن، وأدوا حقوقهن.(١)

ومن خلال تتبع الآيات القرآنية نجد أن القرآن الكريم قد أولىٰ عناية كبيرة بالمرأة في جميع مراحلها، وخصها بآيات ترفع من مكانتها وتعلي من منزلتها، وتدفع عنها الضرر والظلم، فنراه قد ذم الجاهلية في كراهيتهم للأنثىٰ وحرم وأد البنات قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[التكوير:٨-٩] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾ [النحل:٥٨] وخص تربية البنات بمزيد من الفضل والثواب، كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، أن عائشة زوج النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قالت:(جاءتني امرأة ومعها ابنتان لها، فسألتني، فلم تجد عندي شيئًا غير تمرة واحدة، فأعطيتها إياها، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها شيئًا، ثم قامت فخرجت وابنتاها، فدخل علي النبي صلىٰ الله عليه وسلم فحدثته حديثها، فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم -: "من ابتلي من البنات بشيء، فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار") (٢).

واهتم بها كزوجة فجعل العلاقة الزوجية في إطار المودة والرحمة فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:٢١] ووضع لها الحقوق والواجبات، وندد بكل عدوان ينتقص من كرامتها ومصلحتها قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣٢].

ومن أكبر الشواهد علىٰ تكريم القرآن للمرأة والرفع من شأنها قوله

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ٢٤٢ .

(٢) كتاب (البر والصلة والآداب) باب: فضل الإحسان إلىٰ البنات، حديث رقم (٢٦٢٩)، ٤/ ٢٠٢٧.

تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] فالآية تضرب المثل للمؤمنين والمؤمنات علىٰ حد سواء بالمرأة الصالحة، وهي امرأة فرعون لتكون قدوة لهم في قوة إرادتها وشخصيتها في اختيار طريق الإيمان علىٰ متع الحياة وإغراءاتها، ورفضها للمجتمع الذي يحمل أجواء الكفر والضلال.

لذا أورد القرآن الكريم نماذج من تأثير المرأة وفاعليتها الإيجابية من خلال القصص القرآني، واعتبر المرأة القوية قدوة ومثلاً للمؤمنين والمؤمنات، وأن لها القدرة في تغيير مسار التاريخ الإنساني.

فقد أدت المرأة دوراً فاعلاً في مجتمعها المسلم، وكان لها شأنٌ في ذلك لا يقل عن دور الرجل، فدورها مميز ومستمر وفعّال، وهذا كله يثبت أن للمرأة مكانة ريادية تتماشىٰ مع طبيعتها ووظيفتها.

وقد أدرك الغرب مكانة المرأة في المجتمع المسلم، وما لها من حقوق، وما عليها من واجبات، فسطروا الكلمات في تعظيم مكانة المرأة في الإسلام، وشهدوا علىٰ تفوقها، وطالبوا بمثل تلك المكانة، ومن تلك الشهادات:

(في سور القرآن أشار إلىٰ المساواة عند الله بين الذكر والأنثىٰ بغير تفريق في التكليف أو الجزاء، وإشارة صريحة إلىٰ مساواة المرأة والرجل في ثمرات الأعمال والجهود.. وفي بعض الأمم القديمة والحديثة كانت المرأة تحرم غالباً من الميراث، فأبىٰ الإسلام هذا الغبن الفاحش..) [1].

(في ظل الإسلام استعادت المرأة حريتها، واكتسبت مكانة مرموقة، فالإسلام يعتبر النساء شقائق مساوين الرجال، وكلاهما يكمل الآخر[2].

(علىٰ فرض وجود القيود علىٰ المرأة المسلمة في ظل الإسلام، فإن هذه القيود ليست إلا ضمانات لمصلحة المرأة المسلمة نفسها، ولخير الأسرة، وللحفاظ عليها

(١) هذه المقولة لنظمي لوقا، ينظر: قالوا عن الإسلام، للدكتور عماد الدين خليل، ص ٤٣٢.
(٢) هذه المقولة لماكلوسكي، ينظر: قالوا عن الإسلام ص ٤٣٤.

قوية متماسكة، وأخيرًا فهي لخير المجتمع الإسلامي بشكل عام) [1] (لقد لاحظت أن المشكلات العائلية التي يعاني منها الغرب، لا وجود لها بين الأسرة المسلمة التي تنعم بالسلام والهناء) [2].



(١) هذه المقولة لسالي مارش، ينظر: قالوا عن الإسلام ص ٤٣٣.

(٢) المرجع السابق .

المبحث الثاني
فاعلية المرأة في ضوء قصة أم موسى وأخته وامرأة فرعون

تحدث القرآن الكريم عن عدد من النساء اللاتي كان لهن التأثير الإيجابي في حياة أحد أولي العزم من الرسل، وهو نبي الله موسىٰ عليه السلام، ودورهن في حمايته ورعايته منذ ولادته إلىٰ بعثته.

أولهن: أمه التي ذكرها القرآن الكريم كنموذج للمرأة الصابرة المؤمنة المتوكلة علىٰ الله، المصدقة بوعده، والمنفذة لأمره، امتحنها الله امتحانـًا شديداً، فصبرت ووثقت بوعده، فربط علىٰ قلبها، وأكرمها بالبشرىٰ والطمأنينة، وأثنىٰ عليها.

وردت قصة أم موسىٰ في سورتين: سورة طه[1] وسورة القصص [2]، ولم يذكر القرآن الكريم اسم أم موسىٰ أو أي تفاصيل عنها، إنما وقف علىٰ موطن العبرة والدلالة من قصتها. أكرمها الله عز وجل بالوحي الذي كان مرشداً لها ودليلاً، إذ يوحي الله عز وجل لها وهي امرأة، وفيه دلالة علىٰ مكانة هذه المرأة المؤمنة الصابرة.

وقد ذهب أكثر أهل التفسير إلىٰ أن الوحي هنا وحي إلهام، والقذف في القلب وليس بوحي نبوة.[3] قال قتادة: "قذفنا في قلبها "[4]. وذهب البعض إلىٰ أنه إما إيحاء في المنام، أو إرسال ملك [5] قال تعالىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [القصص] قال ابن كثير في تفسيرها: "فلما ضاقت به ذرعا، ألهمت في سرها، وألقي في خلدها، ونفث في روعها ".[6] فوجهّها في قلبها كيف تتصرف مع ابنها لينجو من فرعون وأعوانه.

(١) من الآية السابعة والثلاثين حتىٰ الواحدة والأربعين.
(٢) الآية السابعة، والآية العاشرة، والآية الثالثة عشرة.
(٣) ينظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي ٣/ ٤٨٤ .
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري ١٠/ ٢٩.
(٥) ينظر: النكت والعيون للماوردي ٤/ ٢٣٥.
(٦) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٢٢.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ قذف الله في قلبها بمجرد أن تلد المولود أن ترضعه، وفيه إشارة إلىٰ أهمية إرضاع المولود، فقد أوصاها بالرضاعة بالرغم من المخاوف والظروف، مما له الأثر في بناء العلاقة الحميمية بين الرضيع وأمه، فيقوي بدنه وتقوىٰ الروابط بينهما.

﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ فإن خافت عليه من عدوه أن يذبحه كما يذبح أبناء بني إسرائيل أن تلقيه في النيل، فكانت في موقف عصيب، كيف لأم تخاف علىٰ ابنها من القتل من غيرها أن تلقي به بيدها إلىٰ الماء ؟

ثم نهىٰ الله عز وجل أم موسىٰ عن الخوف والحزن عليه فقال: ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾، لا تخافي علىٰ ولدك من فرعون وجنوده أن يقتلوه، ولا تحزني لفراقه، فهو حزن مفارقته عنها، والخوف عليه خوف الهلاك [١]، وبشرها بأنه سيعيده إليها، وسيجعله من المرسلين ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ فجمع بين أمرين ونهيين وبشارتين [٢]، وهذا من أعظم البشائر الجليلة، بشرها ليطمئن قلبها المفجوع، ويسكن روعها بأنه سيرده عليها لترضعه، وسيبعثه رسولاً إلىٰ من تخاف عليه أن يقتله، وسيسلم من كيدهم.[٣]

تلقت أم موسىٰ هذه البشارة المطمئنة لقلبها، فنزل علىٰ قلبها برداً وسلاماً، ونفذت أمر ربها، ووضعته في التابوت، ثم وضعت التابوت في اليم وهي مؤمنة بربها مصدقة بوعده ﴿ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [طه:٣٩] فألقته بمعاناة نفسية في النيل، فأمر الله اليم، أن يلقيه في الساحل. وقيض أن يأخذه أعدىٰ الأعداء لله ولموسىٰ، ويتربىٰ في أولاده، ويكون قرة عين لمن رآه.

ثم صورت الآيات حالة أم موسىٰ النفسية بعدما فقدت ابنها، فقد حزنت حزناً شديداً، وظهرت عاطفة الأمومة، حيث أصبح فؤادها فارغاً من كل شيء من أمور

(١) ينظر: الماتريدي ٣/ ٥٨٦.
(٢) ينظر:الماوردي ٤/ ٢٣٦.
(٣) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي ٤/ ٧.

الدنيا، إلا من همّ موسىٰ وحزنها عليه ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص] [1]، عن ابن عباس: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ قال: فارغا من كلّ شيء إلاّ من همّ موسىٰ)[2].

ومن شدة اهتمامها بموسىٰ وكثرة تفكيرها في مصيره، كادت لتبدي به أنه ابنها موسىٰ، وتخبر به من شدة وجدها، لولا عناية الله وربطه علىٰ قلبها بالعصمة والصبر والتثبيت، لتكون من المؤمنين المصدقين لوعد الله حين قال لها: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾[3].

﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ فأمه كانت صالحة مؤمنة موقنة بالله عز وجل، فملأ الله قلبها هدوءً وسكينة، لتطمئن علىٰ وليدها وعلىٰ حياته، فتستطيع حمايته والدفاع عنه، وهذه نعمة من الله عز وجل منّ بها عليها لما اتصفت به من الورع والتقوىٰ والخوف من الله.

وقد دلت هذه الآيات العظيمة علىٰ عظمة عاطفة الأمومة، ولاسيما في حالة حرمان الأم من ابنها وفراقه عنها، وكيف لهذه الأم أن تتصرف إذا شعرت بالخطر أو الخوف علىٰ فقدان ابنها وكيف تحميه، كما دلت علىٰ حكمة الله وحسن تقديره وتدبيره.

فأعطت أم موسىٰ درسًا للنساء والرجال علىٰ السواء في التوكل علىٰ الله واليقين به، وفي كيفية التعامل مع الأوامر الربانية والانقياد إليها، فكانت نموذجًا يحتذىٰ به في رباطة الجأش والسكينة عند المواقف الصعبة التي لا يتحملها الرجال فكيف بامرأة ضعيفة وأم حنون، لكن الله عز وجل علّمها كيف تنظر إلىٰ الأمور بإيجابية وتفاءل، فاستسلمت لأوامره وتلقتها بالقبول والتنفيذ مع صعوبته عليها،

(١) ينظر: الماتريدي ٣/ ٥٨٦.

(٢) الطبري ١٠/ ٣٥.

(٣) ينظر: للطبري ٨/ ٤١٢، ١٠/ ٣٠؛ الماوردي ٤/ ٢٣٥؛ معالم التنزيل للبغوي ٦/ ١٩٤؛ السعدي ٤/ ٧.

فأعطاها الله عز وجل القوة والثبات وردّ لها ابنها بدون أذىٰ.

وتحقق وعد الله لها ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ ﴾ فرده إليها بعد أن رفض المراضع كلها، ودلّتهم أخته علىٰ أهل بيت يكفلونه، فاستدعوا أم موسىٰ وهم لا يعرفون أنها أمه، ودخلت عليهم وتصرفت بحكمة وفطنة، فلم تهجم عليه بحنان الأم وشوقها، ولم تسمح لمشاعرها أن تكشف حقيقتها، فرجع الرضيع لأمه وتصرفت كأنها لا تعرفه، وعاملته باعتباره طفلاً كأي طفل، حملته، وألقمته ثديها، فرضع بسكون وطمأنينة، ونام في حضنها، وبذلك زال الخطر منه، واطمأنوا علىٰ حياته، وعيّنت أم موسىٰ مرضعة له، وحملته إلىٰ بيتها، وبذلك قرّت عينها، وحققت سرورها وسعادتها، حيث جمع الله بينها وبين ابنها، وزالت عنها مشاعر الأسىٰ والحزن، بل وتتقاضىٰ علىٰ إرضاعه ورعايته أجراً، فكان في ذلك تأثيرٌ في مجرىٰ حياة موسىٰ عليه السلام.[1]

"وبذلك زاد إيمان هذه المرأة المؤمنة بالله، وزاد يقينها بتحقيق وعد الله، وزاد تسليمها لأمر الله، وتعمق علمها بقدرة الله وحكمتها"[2].

ويأتي تأثير آخر في حياة موسىٰ عليه السلام من امرأة أخرىٰ تفيض رحمةً وعطفًا، كان لتلك المرأة تأثيراً علىٰ أكثر الرجال جبروتًا، وهي امرأة فرعون. هذه المرأة العظيمة التي خلصت نبي الله موسىٰ عليه السلام من القتل علىٰ يد فرعون.

قال تعالىٰ: ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ [القصص] والمراد بـ (آل فرعون): هم الذين تولوا أخذ التابوت الذي فيه موسىٰ من البحر، وفي الذين التقطوه ثلاثة أقوال: قيل: هم جواري امرأة فرعون، وقيل: ابنة فرعون، وقيل: أعوان فرعون.[3]

(١) ينظر: القصص القرآني للدكتور صلاح الخالدي ٢/ ٣٠٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦.

(٣) ينظر الطبري ١٠/ ٣٢؛ الماوردي ٤/ ٢٣٦؛ زاد المسير لابن الجوزي ٦/ ٢٠٣، ولم يثبت دليل من الكتاب أو السنة علىٰ ترجيح شيء من هذه الأقوال.

﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ أي: إن أخذهم إياه كان في علم الله تعالىٰ سببًا لحزنهم، أي: ليكون لهم عدواً وحزنـًا في عاقبة أمره وليس في الحال ؛لأن امرأة فرعون فرحت به وأحبته، فذكر الحال بالمآل، فالذين خافوا منه أن يقتل رجالهم، قيض الله أن يكون زعيمهم، يتربىٰ تحت أيديهم. ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ أي: كانوا مذنبين فعاقبهم الله بأن ربىٰ عدوهم من هو سبب هلاكهم علىٰ أيديهم، وعلىٰ نظرهم، وبكفالتهم. (١)

قال قتادة: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً، قال: في دينهم، وحزنـًا قال: لما يأتيهم به)(٢).

ويستنبط من الآية أن الإنسان مهما بلغ من جبروته وسيطرته، ومهما كان قويـًا وذكيـًا، فإنه لا يستطيع أن يقف أمام إنفاذ أمر الله عز وجل، ففرعون علىٰ قوته وجبروته التقط هذا الطفل الصغير ورباه في قصره، ليكون هلاكه، ونهاية ملكه علىٰ يدي هذا الطفل الصغير.

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩ ﴾ [القصص] .

لما رأىٰ أصحاب فرعون الطفل في التابوت التقطوه وهمّوا بقتله خوفـًا من أن يكون من أبناء بني إسرائيل فيكون زوال ملكهم علىٰ يديه، وهنا يأتي الدور العظيم لامرأة فرعون وحنانها علىٰ موسىٰ بقولها ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ فكان من لطف الله عز وجل ورحمته به، أن سخّر له امرأة فرعون، فمنعتهم، وجعلت تذبُّ دونه بقولها: ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ أي: فتوقفوا عن قتله، ثم استمرت امرأة فرعون في ترغيب زوجها في الاحتفاظ بالوليد، وتحببه إليه، وتقول: قرة عين لي ولك أي: أبقه لنا، لتقرَّ به أعيننا ونسرّ به في حياتنا (٣)، أو نتخذه ولداً إذا ربيناه وكبر. وقيل إن فرعون لما قالت له

(١) ينظر الطبري١٠/ ٣٢ ؛ الماوردي ٤/ ٢٣٦ ؛ مدارك التنزيل للنسفي ٣/ ٢٢٧ ؛ السعدي ٤/ ٧.
(٢) الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٣٩٣.
(٣) ينظر: السعدي ٤/ ٨.

امرأته: خذه قرة عين لي ولك، قال: هو قرة عين لك، فأما أنا فلا.[١] قال عبد الله بن عباس:"لو أنه قال: وهو لي قرة عين إذن لآمن به، ولكنه أبىٰ للشقاء الذي كتبه الله عليه"[٢].

قال ابن عاشور: "ويتضمن قولها ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا﴾ إزالة ما خامر نفس فرعون من خشية فساد ملكه علىٰ يد فتىٰ إسرائيلي، بأن هذا الطفل لا يكون هو المخوف منه ؛لأنه لما انضم في أهلهم وسيكون ربيَّهم، فإنه يرجىٰ منه نفعهم، وأن يكون لهم كالولد. فأقنعت فرعون بقياس علىٰ الأحوال المجربة في علاقة التربية والمعاشرة والتبني والإحسان، وإن الخير لا يأتي بالشر"[٣] .

فامرأة فرعون بقولها ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ قد حقق الله لها ما رجت من النفع، في الدنيا: هداها الله إلىٰ الحق، وفي الآخرة: أسكنها جنته.

وهذا من لطف الله ورحمته بموسىٰ، وهو من آثار المحبة التي ألقاها الله علىٰ نبيه موسىٰ عليه السلام ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]. قيل: أراد محبة آسية لأنها كانت من الله وكانت سبب حياته، وقيل: أراد القبول الذي يضعه الله في الأرض لخيار عباده. [٤]

فكان تقدير الله عز وجل ومشيئته أن ألقىٰ محبته في قلب آسية امرأة فرعون، فكان حنانها علىٰ موسىٰ ورأفتها به، وشفقتها عليه، سبباً في حماية موسىٰ ونجاته من بطش فرعون وأعوانه.

قال ابن عباس: أحبه الله وحببه إلىٰ خلقه [٥]. وقال قتادة: كانت في عيني موسىٰ ملاحة، ما رآه أحد إلا أحبه وعشقه [٦].

(١) ينظر: ابن كثير ٦/ ٢٢٢.
(٢) الطبري ١٠/ ٣٢ .
(٣) التحرير والتنوير ٢٠/ ٧٩ .
(٤) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤/ ٤٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/ ١٩٦ .
(٥) الطبري ٨/ ٤١٢.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٥٦٨، وعزاه إلىٰ ابن عساكر.

(فقدَّر اللّه تعالىٰ، أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالـة، فإنـه لمـا صـار قرة عين لها، وأحبته حبا شديدا، فلم يزل لها بمنزلـة الولـد الشـفيق حتـىٰ كـبر، ونبـأه اللّه وأرسله، فبادرت إلىٰ الإسلام والإيمان به، رضي اللّه عنها وأرضاها) [1].

وقدر الله أن يكون نجاة موسىٰ عليـه السـلام بتـأثير امـرأة فرعـون وانتصـارها في هذه الأزمة، فهي امرأة ملهمة للخير. ولذا ندرك ما للمـرأة مـن تـأثير في حيـاة الرجـل حتىٰ لو كان جباراً، فلم يملك هذا المتكبر بمشيئة الله وتقديره إلا تنفيذ أمر زوجتـه، والاستجابة لمطلبها ورغبتها، وأمر بتبني الطفل وضمه إلىٰ أهل بيته، ليعيش آمنـًا في قصره عند امرأته، ليكون قرة عين لهما.

وقد تحدث القرآن الكريم عن تكريم الله لامرأة فرعون وإحسانه لها، والرفع من شأنها، بجعلها مثلاً للذين آمنوا إلىٰ قيام الساعة، قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم].

فلم يضرها كفر زوجها وجبروته، بل آمنت بالله وصبرت علىٰ فرعـون وظلمـه، ولـم يستطع بكل جبروته أن يحمل امرأته علىٰ أن تعبده كما يعبده كل الناس، ورغـم أنها لـم تفصح عن إيمانها خوفـًا من بطش فرعـون وأعوانـه، إلا أن الـذي يعلـم السـر وأخفىٰ يعلم بإيمانها، ويعلم فضلها علىٰ نبي الله موسىٰ عليـه السـلام، مـا جعـل نبينـا صلىٰ الله عليه وسلم يشير في حديثه عـن النسـاء الـلاتي كملـن مـن بنـات جنسـهن في حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: (قال رسـول الله صـلىٰ الله عليـه وسـلم: كَمُـلَ من الرجال كثير، ولـم يَكمُل من النساء إلا آسيه امـرأة فرعـون، ومـريم بنـت عمـران، وإن فضل عائشة علىٰ النساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام)[2].

---

(١) السعدي ٤/ ٨.

(٢) أخرجـه البخـاري في صـحيحه، كتـاب أحاديـث الأنبيـاء، بـاب: قـول الله تعـالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ، حديث رقم ٣٤١١، ٤/ ٤٨٢ ؛ ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها، حديث رقم:٢٤٣١، ٤/ ١٨٨٧.

فموقف امرأة فرعون يظهر لنا نموذج المرأة الحكيمة صاحبة العقل الراجح، والحجة اللطيفة، والفراسة الصادقة، والقلب الطاهر، وفقها الله إلىٰ سبيل الحق والرشاد، فكانت رائدة في الدعوة إلىٰ الله، فاستحقت أن تكون حاضنة لنبي الله موسىٰ عليه السلام.

ثم يظهر تأثير شخصية نسائية أخرىٰ، وهي تمثل الشخصية الذكية الواعية الفطنة، شخصية أخت موسىٰ، التي كانت خير معين لأمها في مواجهة الظروف الصعبة والتغلب عليها.

﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [القصص] .

قالت أم موسىٰ لأخته بعد أن ألقته في النيل: أتبعي أثر أخيك، واستعلمي خبره من غير أن يحس بك أحد، أو يشعروا بمقصودك، فاستجابت أخت موسىٰ لأمر أمها، فكان التوفيق حليفها في كل مهامها التي أسندت إليها.

ذهبت أخت موسىٰ تقصه بشكل لا يثير الشبهة، وقد كشف لنا القرآن الكريم ذكاء وفطنة تلك الأخت من خلال وصفه لها في كيفية مراقبة أخيها، فهي تراقبه عن (جنب)، أي: بصرت به بطرف عينها عن بعد، وتنظر اختلاساً، ولم تقترب منه لئلا يشك بصلتها أحد. قيل:إنها كانت تمشي جانباً وتنظر مختلسة وتري الناس أنها لا تنظره.[١]

وهذا مرده ذكاء الأخت في كيفية المراقبة ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وهم لا يشعرون أنها تقصه، وأنها أخته.

(وهذا من تمام الحزم والحذر، فإنها لو أبصرته، وجاءت إليهم قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا علىٰ ذبحه، عقوبة لأهله)[٢] .

وهذا يدل علىٰ ذكائها، وأنها كانت صاحبة عين بصيرة، كما يدل علىٰ فطنتها وأخذها الحيطة والحذر، ودقتها في إنجاز المهمة الموكلة بها علىٰ أكمل وجه.

فلما استقر أمر موسىٰ في دار فرعون، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم،

(١) ينظر الطبري ١٠/ ٣٧-٣٨ ؛ البغوي ٦/ ١٩٤.

(٢) السعدي ٤/ ٩ .

فكانت المعجزة الربانية في رفضه للرضاعة، فلم يقبل مرضعة منهن أبداً، ولم يلقم ثديًا، يقول تعالىٰ: ﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [القصص] وهذا من لطف الله عز وجل وفضله ورحمته أن منع موسىٰ من أن يرضع من النساء، فلا يقبل ثدي أي امرأة، ليكون سببًا إلىٰ رجوعه إلىٰ أمه فترضعه وهي آمنة مطمئنة بعدما كانت خائفة، فأخرجوه إلىٰ السوق رحمة به لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته، فلما رأته أخته بأيديهم عرفته، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها.

فتفوقت الفتاة الذكية علىٰ رجال فرعون في مهمتها، واستطاعت أن تثبت أمام حاشية فرعون، وأثبت القرآن الكريم فشلهم في قوله ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وأكملت مهمتها في رعاية أخيها الرضيع، فتدخلت بذكاء وحكمة دون أن تثير أي شبهة حولها، كما أحسنت تقدير الزمن الذي تدخلت فيه، فهي لم تتدخل إلا بعد أن طلبت المراضع له ورفضه الرضاعة، ودلتهم علىٰ من يستطيع إرضاعه، ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ فكشفت أخت موسىٰ عن فصاحتها ولباقتها حينما قدمت خدمتها لهم عن طريق الاستفهام بقولها: ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ ﴾ حتىٰ لا يبدو منها حرص علىٰ ذلك، فتبعد عن نفسها الشبهة حتىٰ لا ينكشف أمرها وأمر أمها.[1]

ومعنىٰ ﴿ يَكْفُلُونَهُۥ ﴾ يتعهدون بحفظه وإرضاعه ﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ مشفقون عليه لا يقصرون في إرضاعه وتربيته، وأخذتهم إلىٰ أمها، فدخلوا به علىٰ أمه، فأعطته ثديها فالتقمه، وفرحوا بذلك فرحًا شديداً، وحقق الله عز وجل وعده لها برده إليها ولم شملهما معًا.[2]

فكان من نتيجة هذا الذكاء والفطنة وحسن التدبير أن نفذت إرادة الله ومشيئته، ورجعت أم موسىٰ بولدها راضية مرضية، وأصبحت بذلك مرضعته وبأجر من امرأة

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٣١ ؛ السعدي ٤/ ٩ .

(٢) ينظر: ابن عاشور ٢٠/ ٨٤.

فرعون، وقد أبدلها الله من بعد خوفها أمنا.[1] يقول تعالىٰ: ﴿ فَرَجَعْنَكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[طه: ٤٠] .

فكان من لطف الله عز وجل أن سخر لموسىٰ أخته الفتاة الصالحة الذكية الفطنة، التي كان لها الأثر الكبير في حياة هذا النبي الكريم من خلال متابعتها لتابوته بحكمة ومراقبتها له بحذر، وكان هذا الأثر ظاهراً في سعيها ومن ثمرته نجاة موسىٰ، وسبباً لرده وعودته لأمه تصديقاً لوعد الله عز وجل. فالقرآن الكريم يقدم لنا نموذجاً للأخت الذكية الناصحة المشفقة، المطيعة لأمها البارة بأخيها، التي تتمتع بحسن إدراك الأمور والقدرة علىٰ تحمل المسؤولية.

وقد وفق موسىٰ لهذه الأسرة المباركة المؤمنة التي كانت من أهم أهدافها الحفاظ علىٰ حياته عليه السلام، فتفوقت تلك النسوة علىٰ كثير من الرجال في ميادين الذكاء والفطنة وحسن التدبير، وفي سعة النظر ودقة التفكير، وأكدت المواقف التي حدثت في حياة هؤلاء النسوة العظيمات علىٰ وعيهن علىٰ القضايا المهمة المحيطة بهن، وقدرتهن في مواجهة التحديات المختلفة، فكنَّ المعنىٰ السامي للصبر والنصح والمحبة، فضلاً عن إيمانهن بالله عز وجل.



(١) ينظر ابن كثير ٦/ ٢٢٣ ؛ السعدي ٤/ ٩-١٠

المبحث الثالث: فاعلية المرأة في ضوء قصة الملكة سبأ

المرأة التي عرض القرآن الكريم قصتها في الآيات(٢١- ٤٣) من سورة النمل هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ، أشهر الملكات علىٰ مر التاريخ، تلك الملكة التي أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، فحكمت البلاد بالقوة والعدل، امرأة تميزت بالحكمة والعقل، واستطاعت بتفكيرها وحكمتها أن تنقذ مجتمعها وتنقله من الكفر إلىٰ الإيمان، فكانت نموذجًا للمرأة العاقلة المتزنة.

بدأت القصة بالحوار الذي دار بين الهدهد والنبي سليمان عليه السلام، عندما أخبره بعذره في مغيبه، قال تعالىٰ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النمل].

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ قال الحسن: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ [(١)]. فكان هذا الخبر عذراً وحجة للهدهد عند سليمان عليه السلام ليدرأ عنه ما كان أُوعد به.

وقولهُ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مبالغة أي: أوتيت من كل شيء يحتاجه الملك المتمكن من متاع الدنيا من العتاد والجنود والأموال وغيرها، وهو بالنسبة لأقرانها، وإلا فسليمان أوتي من الملك ما لم تؤته ملكة سبأ.

﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ كرسي ملكها الذي تجلس عليه، وصف عرشها بالعظمة في الهيئة ورتبة السلطان، وهي تدل علىٰ عظمة المملكة، وقوة السلطان، وكثرة رجال الشورىٰ.[(٢)]

وعندما علم النبي سليمان عليه السلام بهذا الأمر لم يتسرع في تصديق الهدهد أو في تكذيبه، وهذا شأن النبي العادل والملك الحازم، بل قال: سننظر فيما اعتذرت به من عذر واحتججت به من حجة لغيابك أصدقت في ذلك أم كنت من الكاذبين، فأرسل رسالة يوصلها الهدهد إلىٰ هذه الملكة يدعوها إلىٰ توحيد الله وعبادته

(١) الماوردي ٤/ ٢٠٣.

(٢) ينظر: الطبري ٩/ ٥٠٩؛ ابن عطية ٤/ ٢٥٦ ؛ السعدي ٣/ ٥٠٢ .

والتخلي عن عبادة الشمس.

قال تعالىٰ ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا ﴾ [النمل].

فأمر بإلقاء كتابه علىٰ القوم ثم التولي بعد ذلك، علىٰ أن يبقىٰ قريباً منهم ليسمع جوابهم ويرىٰ مراجعتهم، وهذا من حسن الأدب مع الملوك.

فذهب الهدهد بكتاب سليمان فألقاه إليها فقالت لقومها بعد قراءته: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[النمل]. فوصفته بأنه كريم ؛لأنه جليل المقدار بكونه من أكبر ملوك الأرض فعظمته إجلالاً لسليمان، وقيل وصفته بذلك كونه مختوماً بخاتم سليمان.[1]

ثم بينت ما تضمنه الكتاب فقالت: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾[النمل] ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ إعلام لهم عن مرسل الكتاب، وفحواه فيه البساطة والقوة وهو في غاية البلاغة والفصاحة، فهو مبدوء ببسم الله الرحمن الرحيم، وفيه طلب واحد وهو ألا يستكبروا وأن يأتوا إليه مسلمين، قال العلماء: ولم يكتب أحد ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قبل سليمان، عليه السلام[2] .

ثم أخذت الملكة العاقلة في حسن الأدب مع أهل الرأي والبصيرة من قومها ومشاورتهم في أمرها، فجمعت كبار دولتها ورجال مملكتها فقالت: ﴿ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى ﴾ فجعلت المشورة فتيا، ثم زادت في التأدب فعللت أمرها لهم بذلك ﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النمل] أي: لا تبت في كل أمر إلا بالرجوع إليهم، وأعلمتهم أن ذلك مطرد عندها في كل الأمور الطارئة عليها، فكيف في هذه النازلة الكبرىٰ، وهذا فيه تطييب لقلوبهم وملاطفة لهم.[3]

وهذا يُظهر لنا سمة الملكة العاقلة وحكمتها وحزمها، وتبنيها لمبدأ الشورىٰ

(١) ينظر: ابن عطية ٤/ ٢٥٨.
(٢) ينظر: الطبري ٩/ ٥٠٣ ؛ ابن كثير ٦/ ١٨٨.
(٣) ينظر القرطبي ١٣/ ١٩٤.

باحترافية، فلم تكن مستبدة برأي دون مشورة رجال مملكتها وكبرائها في مصالح قومها بالرغم ما كان لها من الملك والسلطة، وبالرغم من علمها بإذعانهم لها، فهذا أول دلالات تأثيرها وفاعليتها في تجميع أهل الحل والعقد حولها والرجوع إليهم في صنع القرار، فعرضت على قومها رسالة سليمان عليه السلام ودعوته إلى التوحيد بمصداقية، وأعطتهم الثقة بأنفسهم، وعلمتهم كيفية اتخاذ القرارات بالإجماع، فكانت مملكتها كما صورها القرآن الكريم بأسلوب رائع مثالاً حياً للملكية التي تقوم على مبدأ الشورى، وهي على النقيض من قصص كثير من الملوك والطواغيت المخالفين للحق التي تحدث عنها.

فكان إجابة قومها بما يقر عينها من إعلامها أنهم أصحاب القوة والبأس الشديد في الحرب، وهذا ما يميلون إليه للدفاع عن مملكتهم ؛لأنهم رجال حرب وقتال وقوة ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [النمل] ثم سلموا الأمر إليها في القتال أو في تركه، لثقتهم في رأيها وما تأمرهم به، وبذلك جمعوا بين الأمرين الأول: إظهار قوتهم وثباتهم في الحرب، والثاني: إظهار طاعتهم لها إن أرادت السلم.

وهذه من أحسن المحاورات بين الحاكم والمحكومين، وهو تظهر لنا صورة من صور الولاء والحب التي تمتلكها الملكة وسجلها التاريخ، ليدل بذلك على أهلية المرأة في الشؤون السياسية. [1]

قال الزمخشري:(نحن أولوا قوة أي قوة الأجساد وقوة الآلات والعدد والبأس والنجدة والبلاء في الحرب، والأمر إليك موكول، ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك، أنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا: نحن من أبناء الحرب، لا من ابناء الرأي والمشورة، وأنت ذات الرأي والتدبير، فانظري ماذا تريدين نتبع رأيك)[2].

(١) ينظر: ابن عطية ٤/ ٢٥٨ ؛ مفاتيح الغيب للرازي ٢٤/ ٦٧ ؛ القرطبي ١٣/ ١٩٢ ؛ السعدي ٣/ ٥٠٤ .
(٢) الكشاف ٣/ ١٤٢ .

ثم يظهر حسن سياسة الملكة وذكاؤها وحنكتها في اختيارها ما يوافق العقل، وفي كيفية التعامل مع أصحاب السلطة، في التعرف فيما إذا كان سليمان نبياً أو ملكاً من واقع خبرتها بحياة الملوك وأفعالهم.

فلما أحست منهم الميل إلىٰ القتال، رأت الميل إلىٰ المصالحة والابتداء بما هو أحسن، وهو رأي يدل علىٰ ذكاءها وفطنتها حيث قدرت العواقب، وجنبت قومها ويلات الحروب والقتال، مما يدل علىٰ استحقاقها الملك، وبينت لهم السبب بقولها: إن الملوك إذا دخلوا القرية علىٰ وجه القوة والغلبة أهلكوها وخربوها ليستقيم لهم الأمر ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النمل].

وهذه شهادة من الله، وتصديق لها بما أخبرت به أنهم كذلك يفعلون، أي عادتهم المستمرة والثابتة لا تتغير، فذكرت لهم عواقب الحرب، وحذرتهم من دخول سليمان عليهم ومسيرته إليهم، وهذا يظهر استعظامها لسليمان وخوفها علىٰ قومها وأخذها الحيطة لهم [١] .

قال ابن عباس: (هو من قول الله تبارك وتعالىٰ معرفا لمحمد صلىٰ الله عليه وسلم وأمته، ومخبرا به) [٢]، وقيل: هو من قول بلقيس تأكيداً منها للمعنىٰ الذي أرادته: كذلك يفعل سليمان إذا دخل بلادنا[٣] .

فرغم أن مجلس الشورىٰ اتخذ موقفاً صلباً يعتمد علىٰ القوة العسكرية والمادية، إلا أن الملكة بحكمتها ورجاحة عقلها وبعد نظرها بعواقب الأمور لجأت إلىٰ المنطق العقلاني وليس إلىٰ القوة العسكرية.

(وهنا تظهر شخصية "المرأة "من وراء شخصية الملكة، المرأة التي تكره الحروب والتدمير، والتي تنضي سلاح الحيلة والملاينة قبل أن تنضي سلاح القوة والمخاشنة) [٤].

(١) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي ٢/ ٤٩٥ ؛ الكشاف للزمخشري ٣/ ١٤٢ ؛ ابن عطية ٤/ ٢٥٨ ؛ القرطبي ١٣/ ١٩٥.

(٢) الطبري ٩/ ٥١٥ .

(٣) ينظر: الماوردي ٤/ ٢٠٩.

(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٤٠ .

فكانت بلقيس لبيبة، تعرف من خبرتها ومعرفتها بالسنن الاجتماعية أن عادة الملوك قبول الهدايا، وهو دليل الرضا، وبذلك تتفادىٰ من الحرب، فاقترحت علىٰ قومها إرسال هدية إلىٰ سليمان لتختبره أملك هو أم نبي ؟ فإن كان نبيًا لم يقبل الهدية، ولم يرض بها إلا أن يتبعوا دينه، وإن كان ملكًا قبل الهدية منهم وانصرف عنهم.

فأرسلت إليه بهدية عظيمة، واختبرت علمه ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل] والمعنىٰ: إني ناظرة فيما يرجع به المرسلون من قبول أو ردّ.

وفيه دلالة علىٰ عدم ثقتها بالقبول وجوزت الرد، فأرادت بذلك أن ينكشف لها غاية سليمان، مع علمها أن الهدية تلين القلب، وقد تدفع القتال. [١]

قال قتادة: (يرحمها الله إن كانت لعاقلة في إسلامها وشركها، قد علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس) [٢].

فلما جاءت الرسل لسليمان رد الهدية وقال: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ وهو استفهام إنكار [٣]، أي ما أفرح بهديتكم التي أهديتم لي ؛لأنكم أهل مفاخرة بالدنيا تفرحون بإهداء بعضكم إلىٰ بعض، أما أنا فليست الدنيا من حاجتي؛ لأن الله سبحانه قد مكنني منها، وأعطاني فيها مالم يعط أحداً، ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة، وقد رفض سليمان الهدية ؛لأن الملكة أرسلت الهدية بعد بلوغ كتابه إليها، فتبين له الغرض من الهدية، وهو صرفه مما تضمن كتابه من طلبه الخضوع لدينه وبث سلطانه علىٰ مملكة سبأ مقابل ما بذل له من المال. [٤]

ثم توعدهم بالجنود والإخراج أذلاء، فأوصىٰ الرسول أن يقول لهم مباشرة من غير كتاب: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل: ٣٧] أي:ارجع بالهدية فإن لم يأتوني مسلمين فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقاومتها، وكان جنود

(١) ينظر: الطبري ٩/ ٥١٥ ؛ ابن عطية ٤/ ٢٥٩ ؛ مفاتيح الغيب للرازي ٢٤/ ١٦٨ .
(٢) القرطبي ١٣/ ٢٠٠ .
(٣) ينظر الشوكاني ٤/ ١٩٧.
(٤) ينظر: الطبري ٩/ ٥١٨ ؛ الكشف والبيان للثعلبي ٧/ ٢٠٩ ؛التحرير والتنوير ١٩/ ٢٦٨ .

سليمان من الجن والإنس والشياطين.

﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا﴾ يعني من أرض سبأ علىٰ وجه الذلة والصغار، فلما بلغ الخبر إلىٰ بلقيس، ورجعت إليها رسلها بهديتها، لم تجد بداً من الخروج إليه طائعة هي وقومها، بعد أن رأت نفسها أمام ملك كريم لم يغتر بأموال الدنيا وزينتها، فأقبلت تسير في جنودها إلىٰ سليمان، خاضعة معظمة لسليمان، ناوية متابعته في دينه.[١]

فلما علم سليمان عليه السلام بمسيرها إليه قرر إحضار عرشها قبل وصولها، ليظهر لها ما خصه الله تعالىٰ به من قدرة وقوة لتذعن وتسلّم لأمره، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [النمل].

واختلف العلماء في السبب الذي لأجله أمر سليمان عليه السلام بإحضار العرش قبل إسلامها، فقيل: إنه علم أنها إن أسلمت حرم عليه عرشها ومالها، فأراد أن يأخذه قبل أن يحرم عليه، وهذا بعيد، ولا يليق بمقام النبوة، واستبعد هذا القول بعض المفسرين كالنسفي[٢] وأبي حيان بقوله: "لأن ذلك لا يقع من نبي أوتي ملكـاً لم يؤته غيره "[٣] وقيل: فعل ذلك ليختبر به عقلها هل تتعرف عليه إذا رأته أم تنكره، فيعرفها بذلك دلالة قدرة الله تعالىٰ، وعظيم سلطانه، وعلىٰ نبوة سليمان عليه السلام.[٤]وهو ما رجحه الطبري[٥]، وقاله جماعة من المفسرين. أراد أن يريهم آية من آيات نبوته إذا أتوه مسلمين ليعلموا أنه نبي، ليس بملك.[٦]

فعرض عفريت أن يأتيه في ساعات قليلة قبل أن يقوم من مجلسه الذي كان يجلس فيه للحكم والقضاء، وأراد سليمان أن يكون أعجل من ذلك، فقال الذي عنده علم من الكتاب ـ وكان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ـ: أنا آتيك

(١) ينظر تفسير القرآن للسمعاني ٤/ ٩٨ ؛ ابن كثير ٦/ ١٩١.
(٢) ٣/ ٢١٢ .
(٣) البحر المحيط ٨/ ٢٣٩ .
(٤) ينظر: السمرقندي ٢/ ٤٩٦ ؛ ابن عطية ٤/ ٢٥٩ ؛ الرازي ٢٤/ ١٦٩ ؛ ابن كثير ٦/ ١٩١.
(٥) ٩/ ٥٢١.
(٦) ينظر: الماتريدي ٣/ ٥٦٢ .

به قبل أن يرتد إليك طرفك.(١)

وهذا فيه دلالة علىٰ شرف العلم وعظمته، وأن هذه الكرامة كانت بسببه، ففيه حث علىٰ تعلم العلم الشرعي لما له من الفضل والمكانة.

فأذن له، فلما رأىٰ العرش حاضراً لديه، اعترف أنه من فضل الله من غير حول منه ولا قوة، وحمد الله وشكره علىٰ تيسير أموره وإقداره.

وأمر أن يغيروا عرشها عن صورته ليجرب عقلها وذكاؤها أثناء مفاجأتها، ويمتحنها بتمييزها لعرشها، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ [النمل:٤٢].

وهذا يدل علىٰ كمال عقلها ورجاحته وحكمتها، فهي لم تنفِ إنما قالت:كأنه هو، فلم تنكره لما رأت من تغيّره ولبعد مسافته عنها، ولم تثبته لأنها وجدت فيه ما تعرفه من آثاره وصفاته، وهذا غاية في الذكاء والحزم، وفيه دلالة علىٰ رزانة رأيها، ورصانة فكرها، ما لا يخفىٰ علىٰ أحد.

فصار دلالة لها علىٰ صحة نبوة سليمان عليه السلام ؛لأنها علمت أنه ليس بقدرته الذاتية، بل بقدرة الله عز وجل وأن الله معه، ولم يمنعها ملكها ومكانتها من التعرف علىٰ التوحيد ودين الحق، فأعلنت إسلامها وتحولت من ملكة كافرة إلىٰ ملكة مؤمنة بالله، تشارك سليمان عليه السلام العبودية والاستسلام لله عز وجل.

فقال سليمان عليه السلام شاكرا لله أن أعطاه أعظم منها:﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النمل] أي: العلم بالله وقدرته والهداية والعقل من قبل هذه الملكة. (٢)

إنما منعها عن التوحيد وعبادة الله عبادتها الشمس والقمر، وكان عادة من دين قومها وآبائها، فاتبعت فيه آثارهم. ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النمل].

(١) ينظر الطبري ٩/ ٥٢٣ ؛ السمرقندي ٢/ ٤٩٦.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل للبيضاوي ٢/ ١٧٧ ؛ إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ٦/ ٢٨٨ ؛ السعدي ٣/ ٥٠٧ .

فلما وصلت بلقيس إلىٰ الصرح، وهو بناء عال قيل لها: ادخلي إلىٰ سليمان عليه السلام، فلما رأت اللجة فزعت، وظنت أنها قصد بها الغرق، وعجبت من كونه كرسي علىٰ الماء لكنها امتثلت للأمر، وهذا أيضا من عقلها وأدبها، فلم تمتنع من الدخول للمكان الذي أمرت بالدخول فيه، لعلمها أنها لم تستدع إلا للإكرام، وكشفت عن ساقيها، فقال لها سليمان: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ والممرد: المحكوك المملس، فهو ليس لجة ماء، إنما صرح مبني من زجاج وبلور والماء تحته، فلا حاجة لكشف ساقيك، عند ذلك أذعنت بلقيس، وأسلمت بعدما شاهدت ما شاهدت، وعلمت بنبوة سليمان وأدركت عظمة ملكه، وأنه صادق فيما دعاها إليه، وعلمت أن دينها ودين آبائها باطل، فاعترفت أنها ظلمت نفسها بما كانت عليه من الشرك، وأنها انقادت مع سليمان داخلة في دين برب العالمين، وبهذا أصبحت مسلمة صالحة.[(١)]

(ومكان العبرة منها الاتعاظ بحال هذه الملكة، إذ لم يصدّها علوّ شأنها، وعظمة سلطانها، مع ما أوتيته من سلامة الفطرة وذكاء العقل، عن أن تنظر في دلائل صدق الداعي إلىٰ التوحيد، وتوقن بفساد الشرك، وتعترف بالوحدانية لله، فما يكون إصرار المشركين علىٰ شركهم بعد أن جاءهم الهدي الإسلامي إلا لسخافة أحلامهم، أو لعمايتهم عن الحق، وتمسكهم بالباطل وتصلبهم فيه)[(٢)] .

ونجد أن القرآن الكريم عرض لنا من خلال القصة شخصية ملكة سبأ كصورة للمرأة القيادية الفاعلة، صاحبة الموقف الحكيم، والتصرف الواعي في إدارة سلطتها وحكمها، التي تمتاز بتحملها المسؤولية ولا تخضع لعاطفتها ؛لأنها صاحبة قرار وتمتلك خيارات، فتعمل علىٰ أساس عقلها وحسن تفكيرها وحزم تدبيرها حتىٰ تخرج من المواقف الصعبة والمحن التي تتعرض لها، كما أنها عرفت بحسن المشاورة، فلم تكن كبقية الحكام مستبدة في أحكامها أو متزمتة في آرائها، وهذا فيه تعظيم لشأن الملكة بلقيس، وفيه دلالة

(١) ينظر: الطبري ٩/ ٥٢٨ ؛ابن عطية ٤/ ٢٦٢ ؛ السعدي ٣/ ٥٠٨ .
(٢) التحرير والتنوير ١٩/ ٢٧٧ .

علىٰ دور المرأة الفاعل والمميز في مختلف المجالات العامة والخاصة. وعلىٰ أن المرأة تستطيع أن تصبح في مستوىٰ تفوق فيه الرجال بشخصيتها القوية العاقلة المتزنة، بل تبدع وتتفوق علىٰ الكثير من أقرانها الرجال.

فالقرآن الكريم أثنىٰ علىٰ حسن تدبيرها وتصرفها وبعد نظرها في عواقب الأمور، الذي قادت به قومها إلىٰ السلامة في الدنيا والفلاح في الآخرة، كما أشار إلىٰ دورها الفعال في التفاعل الإنساني والسياسي.



المبحث الرابع: فاعلية المرأة في ضوء قصة مريم ابنة عمران

تحدث القرآن الكريم عن قصة مريم في السورة التي سميت باسمها، وفصّل فيها الحديث عن قصة حملها وولادتها لعيسىٰ عليه السلام، كما جاء الحديث عن مريم في سور أخرىٰ: سورة آل عمران، وسورة الأنبياء، وسورة التحريم.

أمر الله عز وجل نبيه صلىٰ الله عليه وسلم أن يذكر في الكتاب، وهو القرآن ما جاء فيه من خبر مريم فقال عز وجل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ ﴾ [مريم]، وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام، كانت من أهل الورع والتقوىٰ، وكانت من بيت طاهر في بني إسرائيل، وقد ذكر القرآن الكريم قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران، وأن أمها نذرت ما في بطنها محرراً، تعني لخدمة بيت المقدس[1]، قال تعالىٰ: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾[آل عمران] تظن أنها ستلد ذكراً فولدت مريم، ثم قالت: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[آل عمران:٣٦] "قالت اعتذاراً إلىٰ ربها مما كانت نذرت في حملها فحررته لخدمة ربها، وليس الذكر كالأنثىٰ ؛لأن الذكر أقوىٰ علىٰ الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثىٰ لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنفاس."[2]

﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾[آل عمران:٣٦] ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية خطاب من الله تعالىٰ لها علىٰ جهة التعظيم لما وضعته، والتفخيم لشأنه، والتجليل لها، أي: أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب، وما علم الله من عظم شأنه وعلوّ قدره، وأن المراد منها هو تفضيل هذه الأنثىٰ علىٰ الذكر، وأنها خير من كثير من الذكور، ولعل الله قد علم الخيرة في الأنثىٰ التي ولدتها، فمع أنها أنثىٰ إلا أنه سيجعلها، وابنها آية للعالمين، وعبرة للمعتبرين، ويختصها بما لم يختص به أحداً.[3]

(١) ينظر ابن كثير ٥/ ٢١٩.
(٢) الطبري ٣/ ٢٣٧.
(٣) ينظر: الزمخشري ١/ ١٨٦ ؛ الشوكاني ١/ ٥٠٥.

"معنىٰ أن مريم عليها الصلاة والسلام وإن كان ظاهرها الأنوثة، ففيها حقيقة المعنىٰ الذي ألحقها بالرجال في الكمال، حتىٰ كانت ممن كمل من النساء لما لا يصل إليه كثير من رجال عالمها، فكان في إشعاره أن الموضوع كان ظاهره ذكراً وحقيقته أنثىٰ"[(١)] .

ولجأت هذه المرأة المؤمنة الصادقة إلىٰ الله عز وجل، ودعت لها وأعاذتها وأعاذت ذريتها من الشيطان الرجيم، واستجاب الله عز وجل لها، وتقبل مولودتها وأنبتها نباتـًا حسنـًا، وهذا من قوة إيمانها، واعتمادها علىٰ الله.

ونشأت مريم نشأة عظيمة في بني إسرائيل، في كفالة زوج خالتها زكريا عليه السلام، ليربيها علىٰ أكمل الأحوال [(٢)]، فنشأت صالحة عفيفة طاهرة، وانقطعت لعبادة ربها ولزمت محرابها، ورأىٰ لها زكريا من الكرامات الظاهرة التي دلت علىٰ عظيم قدرة الله عز وجل، فكان ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[آل عمران: ٣٧] من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها.

فلما رأىٰ زكريا عليه السلام ما منّ الله به علىٰ مريم من رزق، وفضل بغير سعي منها ولا كسب، إنما هو كرامة أكرمها الله به، أثر ذلك علىٰ قلبه المفعم بالإيمان والثقة بالله، وذكّره أن يسأل الله تعالىٰ حصول الولد، فبالرغم من يقينه أن امرأته عاقر ومع كبر سنه إلا أن نفسه طمعت بالولد، فدعا ربه أن يكون له ولد صالح مثلها ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[آل عمران] .

فكان هذا من بركات مريم، وتأثيرها الإيجابي علىٰ من حولها، ظهر في زكريا عليه السلام، بأن أوحت له أن يدعو الله بهذا الدعاء، واستجاب الله لزكريا، وكانت البشرىٰ من الله عز وجل له بغلام وسماه الله تعالىٰ: (يحي) [(٣)].

فلما أراد الله عز وجل أن يُوجد منها عبده ورسوله عيسىٰ عليه السلام، أحد

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٣٥٢ .
(٢) ينظر: ابن كثير ٥/ ٢١٩.
(٣) ينظر الطبري ٣/ ٢٤٧؛ السعدي ١/ ٢٤٢ .

الرسل أولي العزم الخمسة العظام، تنحت عن أهلها، واعتزلتهم منفردة عنهم مكاناً شرقياً ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ أي: وذهبت إلىٰ شرق المسجد المقدس، واختلف الناس لم انتبذت ؟، فقيل: لتطهر من حيض، قاله السدي[١]، وقيل: لتعبد الله، وقواه ابن عطية وقال: "وذلك أن مريم كانت وقفاً علىٰ سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فيه، فتنحت من الناس لذلك "[٢]، واستحسنه القرطبي [٣]، وهو الأرجح - والله أعلم - لدلالة السياق عليه ؛ولأنه الأقرب لحال مريم عليها السلام وهو عبادة الله كما علله ابن عطية.

فكأنه كان تهيئة لها لأمر غير معتاد، ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ ﴾[مريم] يعني فاتخذت من دون أهلها ستراً يسترها عنهم وعن الناس، لتتفرد لعبادة ربها، فأرسل الله تعالىٰ إليها جبريل عليه السلام في صورة شاب تام كامل في هيئة حسنة، فلما رأته وهي منعزلة عن أهلها وبينها وبين قومها حجاب، خافته وظنت أنه يريدها علىٰ نفسها، فاعتصمت بربها واستعاذت منه وقالت: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ ﴾ [مريم: ١٨] فنجدها تلجأ إلىٰ الله وتستجير به من هذا الذي رأته إن كان مطيعاً لله ويخشاه يعني: إن كنت تخاف الله مطيعاً له فاترك التعرض لي، فبادرته بالتعوذ منه قبل أن يتكلم، فجمعت بين الاعتصام بالله وبين تخويفه وترهيبه، وهذا أبلغ ما يكون من العفة، وفيه إشارة إلىٰ كمال عصمتها. [٤]

فهدأ جبريل من روعها وطمأن قلبها وقال لها: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ ﴾[مريم: ١٩] أي: ليس كما تظنين، ولكني رسول ربك بعثني إليك لأهب لك غلاماً سيكون له شأن عظيم، وهذه بشارة عظيمة بالولد وزكائه، أي: أنه

(١) الطبري ٨/ ٣١٩.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٩ .
(٣) ١١/ ٩٠.
(٤) ينظر: ابن عاشور ١٦/ ٨٠ ؛ السعدي ٣/ ١٩٦.

كثير البركات، طاهراً من الذنوب والمعاصي(١)، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [آل عمران] فتعجبت مريم من هذا، وقالت لجبريل: من أين يكون لي ولد ؟ والحال أني لم يقربني زوج ولا يتصور مني الفجور، فإذا انتفىٰ عنها مسيس الرجال حلالاً وحراماً فكيف تحمل ؟ .

فيجيبها جبريل بأنه ليس له من الأمر شيء، إنما هو أمر الله وقضاؤه، هكذا قال ربك، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ [مريم]، أي: خلق ولد بلا أب، ولنجعله دلالة وعلامة للناس علىٰ قدرة بارئهم وخالقهم.(٢)

"تدل علىٰ كمال قدرة الله تعالىٰ، وعلىٰ أن الأسباب جميعها، لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير الله، فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب، ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ﴾ أي: ولنجعله رحمة منا به، وبوالدته، وبالناس.

أما رحمة الله به، فلما خصه الله بوحيه ومن عليه بما من به علىٰ أولي العزم، وأما رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته بالناس، فإن أكبر نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولا، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة"(٣).

فلما أيقنت مريم أن جبريل رسول من الله إليها أذعنت لأمر الله وقضائه، فلما حملت بعيسىٰ عليه السلام تنحت به عن قومها مكاناً نائياً. ثم جاء اليوم الموعود

(١) ينظر: أضواء البيان للشنقيطي ٤/ ٢٥٥.
(٢) ينظر: الطبري ٨/ ٣٢١ ؛ السمرقندي ٢/ ٣٢١ ؛ ابن كثير ٥/ ٢٢٠ ؛ السعدي ٣/ ١٩٦ ؛ ٤/ ٢٥٧ ؛ ابن عاشور ١٦/ ٨١.
(٣) السعدي ٣/ ١٩٧ .

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم] فألجأها وجع الولادة إلىٰ جذع النخلة لتستند إليها وتتمسك بها علىٰ وجع الولادة، ورغم أدراكها عظمة هذا الحمل، وأن أبنها معجزة ربانية ورسول من الله عز وجل، إلا أنها أمام هذا الموقف واجهت الآلام النفسية بجانب الآلام الجسدية، فاضطربت خواطرها، وأرهقها التفكير في موقف قومها بعد ولادتها، لذا تمنت الموت قبل هذا الحادث، استحياءً من الناس وخوف الفضيحة، وتمنت أن كانت نسيا منسيا فلا تذكر.

"فهي في حالة من الحزن ترىٰ أن الموت أهون عليها من الوقوع فيها. وهذا دليل علىٰ مقام صبرها وصدقها في تلقي البلوىٰ التي ابتلاها الله تعالىٰ، فلذلك كانت في مقام الصديقية. "[(١)]

فإذا هي تسمع كلاماً إما من الوليد، أو من الملك، يهدئ من روعها وقلقها [(٢)]، ويربط علىٰ قلبها، ويبشرها بأن الله عز وجل قد أجرىٰ من تحتها نهراً عذباً، وأرشدها إلىٰ طعامها وشرابها، بأن طلب منها أن تهز جذع النخلة، ليتساقط عليها الرطب الجني [(٣)]، وليس هذا فحسب، بل وأرشدها علىٰ حجتها وبرهانها لمن يراها ويسألها عن ولدها ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مريم] فما قال لها ذلك، ورأت من الآيات اطمأنت نفسها، وسلّمت لأمر الله، وعلمت أن الله سيبين عذرها، فأتت غير مبالية ولا مكترثة، وحملته حتىٰ أتت به قومها. [(٤)]

قال الشنقيطي: "يدل علىٰ أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة ؛لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به. فوجود هذه الخوارق من تفجير

(١) التحرير والتنوير ١٦/ ٨٥ .

(٢) قيل إن الذي ناداها من تحتها الملك، وقيل: عيسىٰ، ورجّح الطبري أن الذي ناداها هو ابنها عيسىٰ. ينظر الطبري ٨/ ٣٢٦، ٣٢٧ ؛ الماوردي ٣/ ٣٦٤ .

(٣) ينظر: الشنقيطي ٤/ ٢٦٩.

(٤) ينظر: ابن عطية ٤/ ١٣.

النهر، وإنبات الرطب، وكلام المولود تطمئن إليه نفسها وتزول به عنها الريبة، وبذلك يكون قرة عين لها ؛لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسياً منسياً لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر. وخرق الله لها العادة بتفجير الماء، وإنبات الرطب، وكلام المولود لا غرابة فيه. وقد نص الله جل وعلا في آل عمران علىٰ خرقه لها العادة في قوله ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ قال العلماء: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف. وإجراء النهر وإنبات الرطب ليس أغرب من هذا المذكور في سورة آل عمران ". [(١)]

وروي أن قومها خرجوا في طلبها فلقوها وهي مقبلة به [(٢)] فقالوا: ﴿ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [مريم] أي: منكراً عظيماً، يعنون به الزنىٰ، ويدل لذلك قوله تعالىٰ بعده ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مريم] يعنون كان أبواك عفيفين لا يفعلان الفاحشة، فمالك أنت ترتكبينها.

﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ ﴾[مريم] لما قال قومها ذلك أشارت مريم إلىٰ مولودها أن كلموه ليخبرهم بحقيقة الأمر، وإنما أشارت لذلك ؛لأنها أمرت عند مخاطبة الناس لها أن تقول: ﴿ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾[مريم] فقالوا متهكمين بها، ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم ﴿ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ ﴾[مريم] فأنطقه الله تعالىٰ الذي أنطق كل شيء، فقال لهم بلسان فصيح ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ ﴾أعلن عبوديته لله وحده وأن الله جعله نبياً، فكان كلامه حازماً في تبرئة أمه من التهم التي نسبها إليها قومها ظلماً وبهتاناً. وهذا من أعظم فضائلها، أن تذكر في الكتاب

(١) الشنقيطي ٤/ ٢٧٠.

(٢) ينظر: ابن عطية ٤/ ١٣.

العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء، جزاء لعملها الفاضل، وسعيها الكامل.(١)

وتميزت بسمة العفاف، لذا أثنىٰ الله عز وجل علىٰ عفتها، وأنها من المحصنات الشريفات فقال: ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[الأنبياء] ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[التحريم] فهي العفيفة الطاهرة، وهذا من أعظم فضائلها التي كانت سببًا في اصطفاء الله لها ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران] فهي أفضل نساء العالمين بنص من القرآن الكريم، وبنص من حديث المصطفىٰ صلىٰ الله عليه وسلم الذي رواه علي رضي الله عنه قال: (خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد) (٢).

اصطفاها الله عز وجل لتكون أمًّا لنبي من أولي العزم من الرسل وهو عيسىٰ عليه السلام "فأعاضها الله بعفتها، ولدا من آيات الله، ورسولا من رسله."(٣)

وقد خص الله مريم بما لم يؤته أحدا من النساء، خصها بتكليم روح القدس لها ونفخه في درعها، وأشار إلىٰ درجتها العالية، فكانت صديقة صدقت بكلام ربها ولم تسأله آية عندما بشرت بعيسىٰ كما سأل زكريا عندما بشر بيحي، ولذلك شهد الله في كتابه بالصديقة فقال عز وجل: ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة:٧٥] وكانت من القانتين فشهد لها بالقنوت ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم] فنالت مريم هذا الشرف العظيم من الله رب العالمين.

---

(١) ينظر: الطبري ٨/ ٣٢٢ ؛ البغوي ٥/ ٢٢٥ ؛ ابن عطية ٤/ ١٣ ؛ السعدي ٣/ ١٩٥، ١٩٧ ؛ الشنقيطي ٤/ ٢٩١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: {وإذ قالت الملائكة يا مريم..}، حديث رقم(٣٤٣٢) ؛ ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، حديث رقم (٢٤٣٠)، ٤/ ١٨٨٦.

(٣) تفسير السعدي ٣/ ١٩٦.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، والصلاة علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيراً. أما بعد..

فقد انتهيت بفضل الله وعونه من بحث (**فاعلية المرأة المؤمنة في ضوء القصص القرآني**) وقد قسمته إلىٰ مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث وخاتمة.

وتوصلت إلىٰ النتائج التالية:

- أن القرآن الكريم قد أولىٰ عناية كبيرة بالمرأة في جميع مراحلها، وخصها بآيات ترفع من مكانتها وتعلي من منزلتها، وتدفع عنها الضرر والظلم، وصحح المفاهيم المتعلقة بها.
- أن القرآن الكريم عرض نماذج نسائية متعددة في شتىٰ المجالات، وركز علىٰ الجوانب المشرقة من تاريخها، فقدم العديد منهن كقدوات ليس للنساء فحسب بل للبشرية كلها، فقدمها نموذجًا للمرأة القيادية، و نموذجًا للعفة والطهر والنقاء، و نموذجًا للإنسان القوي، وبذلك استطاعت أن تؤكد دورها الفاعل والمميز في مختلف المجالات العامة والخاصة.
- أثبت القرآن الكريم من خلال قصصه أن المرأة تصلح للقيادة، بل تبدع وتتفوق علىٰ الكثير من أقرانها الرجال، وتستطيع أن تصبح في مستوىٰ تفوق فيه الرجال بشخصيتها القوية العاقلة المتزنة
- أكد القرآن الكريم علىٰ دور المرأة الريادي والفعال في صنع القرارات والمشاركة فيها، و استعدادها للمعالجة الصحيحة للأزمات واتخاذ القرارات، وفي كيفية التعامل مع الأوامر الربانية والانقياد إليها.

وفي الختام أوصي بضرورة الالتفات إلىٰ الموضوعات المتعلقة بالمرأة لأهميتها في بناء المجتمع المسلم.

والله أسأل أن يرزقنا الصدق في القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين.

المراجع والمصادر

١. إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢. أسماء سور القرآن وفضائلها، لمنيرة بنت محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٩.
٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، لناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م.
٥. بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق: السيخ محمد علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م.
٦. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
٧. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ-٢٠٠٤م.
٨. تفسير التحرير والتنوير، للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر.
٩. تفسير القرآن العظيم. للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٠. تفسير القرآن، لأبي مظفر السمعاني (٤٨٩هـ)، تحقيق: غنيم عباس غنيم، دار

الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار المدني، جدة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
١٢. جامع البيان في تأويل القرآن. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
١٣. الجامع لأحكام القرآن. لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.
١٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
١٥. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ـ١٩٨٧.
١٦. سنن النسائي الكبرى لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، حققه وأخرج أحاديثه: حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠١.
١٧. صحيح البخاري. للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (٢٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
١٨. صحيح مسلم. للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، حقق نصوصه وصححه ورقمه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
١٩. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد ابن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ -١٩٩٢ م.

٢١. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة ١٤٠٤هـ – ١٩٩٣م.
٢٢. قالوا عن الإسلام، للدكتور عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٢ -١٩٩٢.
٢٣. القصص القرآني، للدكتور صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٩هـ-١٩٩٨م.
٢٤. الكشاف عن حقوق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.
٢٥. الكشف والبيان، لأبي إسحاق أحمد بن أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار إحياء التراث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٢٦. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر، دار صادر، بيروت.
٢٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ ١٤١٣- ١٩٩٣.
٢٨. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٢٩. معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ.
٣٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٩-٢٠٠٨.
٣١. المعجم الوجيز، ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بدون تاريخ.
٣٢. المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفىٰ ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٣٣. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٣٤. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراعب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز.
٣٥. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣ - ١٩٩٢.
٣٦. النكت والعيون (تفسير الماوردي)، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ـ لبنان.

* * *